الصلات الروحية بين الجزائر والسودان الغربي خلال القرنين 18 و19م

د/ بن حيدة يوسف – أستاذ محاضر- ب-
– جامعة العربي بن مهيدي-
– أم البواقي-

تعددت مجالات التواصل بين الجزائر والسودان الغربي[1]،واحتل التصوف دورا هاما في هذا الإتصال ،واكتسى أهمية بالغة نظرا لمساهمته في صياغة ملامح التواصل الثقافي بين المنطقتين، ورسم المظاهر المتعلقة بالأبعاد الروحية ، بما تمثل من نشاط خاص للطرق الصوفية ،حيث أصبح غالبية سكانها ينتمون إلى طريقة من الطرق ،والتي بدأت تظهر في المنطقة ابتداءا من القرن الرابع عشر والخامس عشر فظهرت الطريقة القادرية والتيجانية والسنوسية[2].

والصلات الروحية هي محصلة لما مرّت به العلاقات الجزائرية الإفريقية في المجال التجاري والثقافي والحضاري،ولم تقف الصحراء الكبرى الممتدة بين السودان الغربي والجزائر عائقا دون التواصل، بل شكلت جسرا رابطا بين الضفتين ،وعبر هذا الجسر تدفقت الهجرات المتبادلة،والمبادلات التجارية والبعثات العلمية حيث نمت وازدهرت في عهد امبرطورية غانا ومالي وسنغاي، وتبلورت في المظهر الطرقي بشكل واسع خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر .

ويرجع الفضل في انتشار الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء وخاصة السنيغال ومالي والنيجر وغينيا وغانا ونيجيريا وتشاد إلى الطرق الصوفية خصوصا القادرية والتيجانية والسنوسية والشاذلية، حيث نشطت هذه الطرق بفضل زواياها.

والتساؤل المطروح : فيما تمثلت مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر والسودان الغربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؟ وإلى أي مدى ساهمت الطرق الصوفية وخاصة القادرية والتيجانية في تدعيم العلاقات الجزائرية الافريقية ؟

وللإجابة على التساؤل سنحاول التعرف على نموذجين من الطرق الصوفية التي كان لهما دور كبير في تدعيم العلاقات بين الجزائر والسودان الغربي ،وهما الطريقتان القادرية والتيجانية باعتبار أن تأثيرهما كان كبيرا بالمنطقة، إضافة إلى دور الجزائر في تدعيم هذه العلاقة عن طريق زواياها التي مثلت مراكز اشعاع روحي شمل مناطق عديدة من العالم وبخاصة في منطقة السودان الغربي.

1-الطريقة القادرية:

تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ محي الدين عبد القادر بن أبي صالح المولود في مدينة جيلان (471 هـ/1077م)[3]، فقد نشأ الشيخ في بلاد جبلية أكسبته شدة المراس ،وساهمت في تسيير حياته ومنحته قوة الإرادة وخشونة المعيشة،واستقر ببغداد سنة(488هـ/1095م) ومنها كانت انطلاقتة في القرن الخامس الهجري،حيث ساهمت شهرته العلمية وورعه ومكانته واعتدال مبادئه وسنيتها في نجاح طريقته وبداية انتشارها،وتدعيم نشاطه أكثر في طريق التصوف ببناء مدرسة استقطب فيها العديد من الأتباع الذين اتبعوا نهجه، وتقلد أبناؤه من بعده نشر مبادئ الطريقة [4].

---

(1). بلاد السودان أوبلاد التكرور تمتد من المحيط الأ طلنتي غربا إلى بحيرة تشاد شرقا ،ومن الشمال بين الضفة الجنوبية للصحراء الكبرى إلى، مقدمة نطاق الغابات الاستوائية ، انظر:أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي،"البلـــــدان ،"تحقيق محمد أمين الضنا وي ،دار الكتب العلمية ط1،المجلدالاول 2002،ص360.

(2)..جلال يحيى ،تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،المكتب الجامعي الحديث ،الأزاريطة الإسكندرية ،1999،ص12.

(3) إبراهيم عبد الرزاق ،"الطرق الصوفية في القارة الإفريقية،"دا ر الثقافة للنشر والتوزيع،ط1 ،القاهرة،2004،ص ص34،33

(4) .التل عمر سليم عبد القادر ،متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ،دراسة تاريخية ،دار المأمون للنشر ،عمان الأردن ،ط1،2009،ص103.

وتقوم القادرية على أسس ومبادئ وبرنامج تربوي يؤكد اتباع كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام،والتوازن بين الشريعة والتصوف ،فكل حقيقة تخالف الشريعة فهي مردودة ،وتؤكد على طهارة الظاهر والباطن ،والإهتمام بالذكر باعتباره أساس الطريق ،فقد تطرق الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى آداب الأذكار وحدد فتراتها الزمنية وأنواعها مؤكدا على تزكية الروح وتطهيرها [5].

وامتدت الطريقة زمانا ومكانا فتناقلها الحجاج شرقا وغربا وتنافسوا في نشرها بين المسلمين حتى صار الشيخ عبد القادر الجيلاني يذكر اسمه مقرونا بعبارات التقدير والإجلال مثل "آية الله " "غوث الله " وغيرها من دلالات التقدير والإجلال [6].

1-1 انتقال الطريقة القادرية إلى السودان الغربي :

يرجع انتشار الطريقة القادرية في منطقة السودان الغربي إلى شخصية العالم الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت940هـ/1533م)الذي قام بتأسيسها على طريقة القطب القادري عبد الرحمان الثعالبي[7] ،ويعتبر من أشهر دعاة القادرية الذي اتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء وبلاد الهوسا [8].

حيث تُرجع الروايات أنّ الشيخ أعمر بن الشيخ أحمد البكاي الكنتي(ت959هـ/1552م) التقى في أحد أسفاره بالشيخ عبد الكريم المغيلي ،فلازمه وأخذ عنه الورد القادري ،وتنقل معه في رحلاته والتقيا بالشيخ السيوطي خلال رحلتهما إلى المشرق لأداء مناسك الحج،ومنحهما هذا الشيخ الورد القادري وأمرهما بنشر تعاليم الشيخ عبد القادر الجيلاني ببلادهما على حد تعبير بول مارتي [9].

وربما لا نكون مغالين إذا قلنا أنّ الشيخ اعمر أصبح الرئيس الأعلى للطريقة القادرية ببلاد التكرور،حيث قام إخوته وأبناؤه من بعده بنشر الطريقة في مختلف الأصقاع الإفريقية[10].

وشكلت هذه الرحلة التي جمعت الشيخين المغيلي والشيخ اعمر أثرا في رمزية التواصل الصوفي بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وشكلت نقطة تواصل وتوسع لنشاط الطريقة بالمنطقة .

كما تذكر الروايات أيضا أنّ انتقال القادرية إلى غرب إفريقية كان خلال القرن الخامس عشر بواسطة المهاجرين الذين قدموا من توات - وهي واحة في النصف الغربي من الصحراء-،ثم انتقلوا إلى ولاتة ثم تمبكتو التي أصبحت مركزا رئيسيا لهم، كما انتشرت في أرجاء السودان الغربي من السنغال حتى مصب نهر النيجر ،وساعد كثيرا دعاة القادرية على نشر الحركة الصوفية وممارسة نشاطهم الديني والثقافي وخاصة التعليمي [11].

وتوطّدت الطريقة القادرية في السودان الغربي ،وأخذت مسالكها عبر الطرق التجارية التي كانت تسلكها من تمبكتو إلى الخرطوم إلى قردفان إلى دارفور[12]، ونهضت مراكز أساسية لتنظيم القادرية في

---

(5) أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلاني الشافعي الحنبلي ،سر الأسرار مظهر الأنوار في ما يحتاجه الأبرار،تحقيق خالد محمد عدنان الزرعي ،محمد غسان نصوح عزقول ،دار بن القيم ،دار السنابل ،دمشق ،1993،ص137.

(6) . Deppont et Xavier coppolani.Les confreries religieuses musulmanes .Alger.1897.p294 . .

(7) عبد الرزاق ، المرجع السابق ،ص33.

(8) إلهام محمد علي ذهني ،جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقية ضد الإستعمار الفرنسي ،(1914،1850)،دار المريخ للنشر ،الرياض ،1988،ص31.

(9).بول مارتي ،" كنتة الشرقيون "، تعريب وتعليق محمد محمود ولد وا دي ،مطبعة زيد بمن ثا بت ، د مشق ، د.ت .ص33.

(10) . محمد الظريف . "الحركة الصوفية وأثرها في أ دب الصحراء المغربية من (1800-1956 م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية ،الدار البيضاء ،المغرب ،2002،ص87.

(11).عبد الرزاق إبراهيم ،المرجع السابق ،ص32.

(12)عمارهلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب القارة السمراء، وزارة الثقافة، الجزائر ،2007، ص 111.

كل من تمبوكتو ،وكنكان وفولتا جانون ،وموسرودو، وفي بلاد المادنجو ،وكانت هذه المدن تؤلف مراكز دينية وسط شعب وثني رحب بالقادرية [13].

وامتدت القادرية إلى منطقة النيجر عن طريق الفقيه محمد الأنصاري ، وأسس شيوخ كنتة في أوائل القرن الثاني عشر مدينة (**مبروك**) التي صارت مركزا لنشر الطريقة القادرية ،وأسهم فقهاؤها الذين تزعموا القيادة الدينية في القرن الثامن عشر في توسيعها خارج مجال القبيلة بقيادة الشيخ المختار الكنتي (1811/1793م)الذي أصبح قطبا للقادرية ،وأيّدت قبائل الطوارق الحركة الصوفية بزعامة القادرية مما أسهم في انتشارها بشكل أوسع وأعمق في غرب إفريقية [14].

كما ساهم ذلك في انتشار الإسلام بين الشعوب الزنجية وحتى زعمائها ،وكان للمدن دور كبير في هذا النشاط حيث أصبحت مدينة(**كان**) مركزا كبيرا لنشاط الطريقة القادرية ومنها توسعت نحو حوض السنغال ثم الجنوب الشرقي حيث منطقة الفولتا ،ومنها إلى بلاد الهوسا التي أسهم في نشرها الشيخ **"عبد الله أسكيا"** [15].

ونجحت الطريقة القادرية في استقطاب سكان المنطقة في فولتا جالون على يد السيد الكبير التارازي الذي عمل على نشرها في غامبيا وغينيا الفرنسية وليبيريا وغانا [16].

2-1 الطرق الفرعية المنبثقة عن القادرية:

تفرعت عن الطريقة القادرية ببلاد المغرب والسودان الغربي طرق جديدة أهمها:

- البكائية الكنتية(البكائية): تنسب إلى مؤسسها الشيخ سيد أعمر بن الشيخ سيد أحمد البكاي المولود سنة (960هـ/1552 م)، وهي فرع من القادرية ،وقد تطورت هذه الطريقة بشكل كبير وبلغت أقصى مراتب الإزدهار والإنتشار مع الشيخ سيدي المختار الكنتي(ت 1226هـ - 1821م)[17] ،ويقع المقر الرئيسي للطريقة في تمبوكتو ،وقد انتشرت في الجهات الغربية والجنوبية من الجزائر،سيما في توات وكنتة والقورارة وبلاد الطوارق [18].

- الطريقة الفاضلية: تنسب إلى الشيخ محمد الفاضل بن مامين القلقمي المتوفى سنة(1286هـ/ 1895)[19] وهي فرع من القادرية ، وتندرج هذه الطائفة في سلسلة صوفية تختلف باختلاف شيوخها ولا تتصل بغيرها من الطوائف والفروع القادرية ،كما تتميز بعدم التشدد في الأوراد والأذكار، ولا تفرض على أتباعها وردا معينا ولا الجهر بالذكر،ولا ينسب لها أيّ تعصب مذهبي وعداء للطرق الصوفية السنية،فقد تركزت في مناطق بالصحراء كأزواد وولاتة والنعمة وبلاد القبلة وموريتانيا[20]، وارتبط نشاطها بالشيخين ماء العينين ،وسعد أبيه وهما من أبرز زعماء الفاضلية على الإطلاق ومن أشهر

---

(13) .علي ذهني ،المرجع السابق ،ص32.

(14).عبد الرزاق إبراهيم ،المرجع السابق ،ص33.

(15) .نفسه ،ص33.

(16). علي ذهني، المرجع السابق ،ص32.

(17). الخليل النحوي ، يلاد شنقيط المنارة والرباط ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 1987، ص 121.

(18).أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4،(1954/1830)،طبعة خاصة ،دار البصائر للنشروالتوزيع،الجزائر،2007،ص 277.

(19) .كان الشيخ يقيم في منطقة الحوض من بلاد شنقيط ثم توجه الى الجريف شمالي مدينة شنقيط فاتخذ منها مقرا له . انظر ، الخليل النحوي ، بلاد شنقيك المنارة والرباط ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 1987،ص 121.

(20). أنظر: عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 134 وما بعدها. بنعبد الله، المرجع السابق، ج2، ص 226.

شيوخ القادرية الذين اهتموا بقضية السيطرة الإستعمارية على البلاد الشنقيطية، سواء كان بالقبول والموالاة أو بالرفض والمحاربة[21].

- الطريقة العينية: تنسب إلى الشيخ ماء العينين، وهي امتداد للطريقة الفاضلية، انتشرت هذه الطريقة بالساقية الحمراء[22]،ووادي الذهب والمارة،وازداد نفوذها نظرا للعلاقة التي جمعته مع سلطان مراكش، إضافة إلى المؤلفات التي تركها الشيخ ماء العينين ونشاط الزواية التي أسسها في الساقية الحمراء واتخذها مقرا له مابين سنة (1864 - 1871م)،وزاوية السمارة التي أصبحت مركزا هاما للدراسات القرءانية وتحتوي على أكثر من خمسة آلاف مخطوط[23].

3-1 الأذكار والأوراد القادرية :

يعتبر الذكر من المقومات الأساسية للطريقة ،وهو التخلص من الغفلة والنسيان وحضور القلب مع الحق، مع ترديد اسم الله بالقلب واللسان ،أو ترديد صفة من صفاته،أو حكم من أحكامه،أو فعل من أفعاله للتقرب إلى الله تعالى [24].

وقد وردت آيات وأحاديث في مشروعية الذكر وفضله منها قوله تعالى:"..فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ.."[25] وقوله أيضا "يَاأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُواْ اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا.."[26] ،والذكر نوعان ذكر باللسان وذكر بالقلب،وأضاف المتصوفة ذكر ثالث هو الذكر الموصل إلى استدامة ذكر القلب .

والذكر الخاص عند الصوفية يستدعي إذنا من الشيخ المربّي بالنظر إلى ما فيه من نورانية خاصة وتأثير بالغ ، أمّا الورد فهو قراءة أذكار معينة وتكون في أوقات منتظمة فيقال أوراد الليل، أوأوراد الصباح،وقد يعرف الورد بالحزب،وتكون هذه القراءة مصحوبة بالسماع،وسلسلة الورد تعتبر عهدا للإنتظام في سلك الطريقة [27].

وترتكز الطريقة القادرية في نظامها على تربية المريدين بالأذكار والأوراد وأنواع الرياضة الروحية،وتهذيب النفوس، وتنظيم العلاقة بين الشيخ والمريد،وتتضمن أذكارها ما تدارسوه من شيوخهم بسند متصل.

ويتضمن الورد الذي تقوم عليه الطريقة: الإستغفار(100مرة) والتسبيح(100مرة)،والصلاة على النبي المختار(100مرة)، وقول لاإله إلاالله (100مرة)، كماتتلى هذه الأذكار والأوراد في أوقات محددة [28] ،وتُسمّى هذه الأذكار والدعوات بالورد الكبير،ومنها ما يقرأ خمس مرات في اليوم عقب كل صلاة فرض،ومنها ما يقرأ مرّة في الأسبوع عقب صلاة العصر ويسمى الوظيفة [29].

كما يقرأ أتباع القادرية المقربين الفاتحة بعد الصلوات الخمس ،ويصلون على النبي عليه الصلاة والسلام(121مرة)في شكل جماعي،و(سبحان الله ،والحمد لله، ولا إله إلا الله ،والله أكبر121مرة)،وسورة ياسين إضافة إلى أدعية أخرى وقراءات[30].

---

(21). عبد العزيز،بنعبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، ،ج2،التصوف المغربي خواص ومميزات، دار نشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2001 ،ص226.

(22). عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 201، 202.

(23). بنعبد الله، المرجع السابق، ج2، ص 226.

(24) . عبدالقادر عيسى، حقائق عن التصوف،دار المقطم للنشر والتوزيع ،القاهرة ،2005،ص102،103

(25) . سورة البقرة،الآية152.

(26) .سورةالأحزاب ،الآية41.

(27).أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري،"الرسالة القشيرية"،تحقيق خليل منصور،دار الكتب العلمية،ط3،2005 ، ص256.

(28). إسماعيل بن السيد محمد القادري ،الفيوضات الربانية في المآثروالاوراد القادرية، تهذيب ومراجعةعبدالهادي قطش ،دار الهدى ،عين مليلة،الجزائر 2004،ص13.

(29) عبد الحي القادري ،الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور،ط1 ،تطوان ،1968 ،ص 63.

(30).سعد الله ،المرجع السابق ،ص43.

واهتمت الطريقة القادرية بتهذيب النفوس وتنظيم العلاقة بين المريدين والشيوخ المربين ،مرتكزة في ذلك على مبادئ ومأثورات كـ **"آثار الطوسي"**،و**"الرسالة القشيرية"** للقشيري ، وغيرها من كتب التصوف ،ولا تختلف الأوراد والأذكار التي اعتمدها شيوخ القادرية بالسودان الغربي في صيغتها وعددها عن أوراد الزوايا القادرية بالمغرب الأوسط أوالزاوية الأم ببغداد اختلافا كثيرا رغم ما طرأ عليها من اجتهادات،حيث تضمنت مايلي :

-(التسبيح مئة مرة)-(الحمد لله مئة مرة)-(الله أكبر مئة مرة)-(الحمد لله سيد الكون مئة مرة)[31] وتنطلق هذه الأذكار من سند صوفي،مما جعلها تشكل رمزية دينية تتقاطع من خلالها الطريقة القادرية بين المنطقتين وتحافظ على استمراريتها من خلال الإقبال عليها من الخاصة والعامة ، فحققت انتشارا واسعا لم يقتصر على السودان الغربي فقط بل تجاوزه إلى مختلف الأصقاع الإفريقية.

وبالإضافة إلى الأوراد التي تعتبر إلزامية والمعروفة **بالوظيفة** فهناك عدد من الأدعية الإختيارية التي تتلى في جلسات معينة وتوسلات وابتهالات تقرأ جماعيا عقب صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر،وتساهم الأوراد والأذكار في تزكية النفوس وتطهيرها،ولعل الأذكار والأوراد كان لها أثر كبير في جذب الإفريقي بشدّة للطرق الصوفية وخاصة القادرية ، فالإلتفات حول الشيخ والإشتراك في حلقات الذكر أو مايسمى **بالحضرة** يملأ الفراغ الروحي عند الإفريقي،ويحتل جزءا من وقت فراغهم ،وخصوصا في المساء حيث الإنشاد الديني والحركات الإيقاعية في الذكر والتي تستهوي الإفريقيين الذين تعودوا على التعبير بالرقص في أوجه حياتهم كافة وخاصة الدينية منها[32]، وهذا شكل رمزية في الإقبال على الأذكار والحضرة التي ساهمت في تدعيم التواصل الروحي .

2-الطريقة التيجانية: تنسب إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني (ت 1231هـ/1815م)[33]،وتعتمد في تكوينها على الجانب الغيبي المتعلق بالتأثير على المريدين بقدرة خارقة، والتصورات الغيبية، والختمية التي تعتبرالشيخ أحمد التيجاني خاتم الشيوخ والأولياء، والطريقة التيجانية خاتمة الطرق[34]، وتقوم أيضا على الجانب السلوكي من خلال الإلتزام بالواجبات الدينية كالأوراد وقراءتها في الأوقات المحددة،وهي كثيرة بعدد المقامات والأحوال التي عرفتها التيجانية وتتكون أذكارها من الإستغفار مئة مرة، والصلاة على النّبي بصيغة الفاتحة، وذكر التهليل أو الذكر الفردي "الله-الله" ألف و خمسمائة مرة أو ست مئة مرة مساء يوم الجمعة فقط[35].

2-1 الزوايا التيجانية :

ترتبط الطريقة التيجانية كغيرها من الطرق الصوفية بمراكز روحية متمثلة في زوايا أنشأتها لتجميع المريدين والأتباع ونشر مبادئها ومن أبرزها :

(31.) الظريف،المرجع السابق ،ص224.

(32).حورية توفيق مجاهد ،تاريخ انتشارالإسلام في إفريقيا،الأبعاد والوسائل،مجلةقراءات إفريقية،العدد السادس ،سبتمبر 2010،المنتدى الاسلامي ،لندن. ص23.

(33). و لد أحمد التيجاني عام: (1737م الموافق ل 1150هـ) بقرية عين ماضي ، رحل إلى فاس (1758م/1171هـ)، وكان يحضر مجالس العلم و لما رجع إلى الجزائر حل ببوسسمغون حيث جاءه الفتح الأكبر (1781م/1196هـ) فأعلن الطريقة. راجع عنه: محمد العربي بن محمد السائح الشرقي العمري التيجاني، بغية المستفيد لشرح منية المريد، ضبط و تصحيح عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002،ص 158 ومابعدها؛ بن شهرة المهدي، الطرق الصوفية في الجزائر السنية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص ص 28، 37. وأيضا عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 55،50.

(34). الظريف، المرجع السابق ، ص ص 149، 160.

(35).العمري ،المرجع السابق ،ص ص 266، 269.

- **زاوية عين ماضي**: تقع في بلدة عين ماضي في جنوب سلسلة جبال العمور على بعد 72 كلم غرب مدينة الأغواط في الشمال الغربي[36]،وهي مركز وموطن للطريقة التيجانية، بدأت في نشاطها الصوفي بعد عودة الشيخ أحمد التيجاني من قرية أبي سمغون (1196هـ، 1782م)[37]، و قامت بدور كبير في نشر الطريقة عن طريق تعيين الدعاة والمقاديم في مختلف الجهات وبناء الزوايا والمحافظة على مكانتها الروحية.

- **زاوية تماسين:** زاوية تيجانية تقع في جهة تعرف بتملاحت، أسسها الحاج علي بن عيسى الينبوعي(1214هـ، 1798م)[38]، و تعاقب على رئاستها عدّة شيوخ ، كما عرفت استقرارا كبيرا في خلافة محمد العيد بن الحاج علي وهو ثالث خليفة للطريقة التيجانية (1852 -1876)[39].

وللزاوية دور كبيرفي نشر تعاليم الطريقة في الجنوب الشرقي من الجزائر والجنوب التونسي وأصبحت مدينة تماسين آهلة بالسكان وبالبساتين والأشجار المثمرة ،ومركزا هاما من مراكز الطريقة التيجانية بعد زاوية عين ماضي .

-**زاوية تلمسان :** ترتبط في نشأتها بالشيخ أبي عبد الله الطاهر أحد أصحاب الشيخ أحمد التيجاني البارزين ، وتتميّز عن غيرها من الزوايا بمواجهتها للمستعمر ،ولم تتردد عن التعبير في مساندتها للأمير عبد القادر.،وكان مريدوا الزاوية وأتباعها ينهضون بأداء الوظيفة الممثلة في **"جوهرة الكمال"** وإقامة هذه الصلاة إحدى عشر مرة بدل اثنا عشر مرة مختلفة عن باقي الزوايا التيجانية في العدد [40].

وهناك عدة زوايا فرعية في مختلف جهات الوطن نذكر منها على سبيل المثال زاوية الطيبات بولاية الوادي، وزاويتان في أوقروت وأولاد راشد بولاية أدرار، وزاوية أوقروت تتربع على مساحة شاسعة قدرها إثنا عشر هكتار خصص منها عشرة هكتارات للزراعة، تخصص محصولها لتغطية نفقات الزاوية وأجور المعلمين[41].

زاوية فاس : كان لشيخ الطريقة التيجانية ورحلاته باتجاه المغرب الأقصى بعد رحلة الشيخ التيجاني نحو فاس، حيث أسس بها زاوية سنة 1213 هـ/ 1799م ومنحه السلطان مولاي سليمان دار المرآة بحي القرويين لممارسة نشاطه الصوفي [42]،واكتسبت مكانة هامة بعد وفاة الشيخ التيجاني سنة (1231هـ/1815م)،وأصبحت مزارة للأتباع والمريدين من مختلف المناطق وبخاصة من السودان الغربي.

2-2انتشار التيجانية في السودان الغربي وفروعها:

---

(36). سعيدةزيزاح ،ظاهرة الطرق الصوفية بالجزائر " الطريقة التيجانية نموذجا"، الملتقى الدولي الحادي عشر التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، ج2، ص 374

(37). الظريف، المرجع السابق ، ص ص 159، 160 .

(38).المرجع نفسه، ص 160. توفي الحاج بن عيسى 1260 هـ/ 1844 م أنظر سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 219.

(39). زيزاح، المرجع السابق، ص ص 385، 387.

(40). cheikh hamahoullah, Les confreriers religieuses musulmanes,Alioune Traoré, paris,1983 , p 37 , 81 .

(41). زيزاح ،المرجع السابق، ص 390.

(42) .الظريف ، المرجع السابق ،ص 163.

عرفت الطريقة التيجانية امتدادا جغرافيا شمل منطقة الصحراء والسودان الغربي ووادي النيل والسنغال وإفريقيا الغربية، وقد ساهمت الدعوة والتجارة في انتشار الطريقة واكتساب ثروة طائلة لتدعيم الزّوايا التيجانية خاصة زاوية تيماسين وعين ماضي[43].

ويرجع انتشارالطريقة التيجانية[44]في السودان الغربي إلى جهود الحاج عمر الفوتي التكروري (1795 – 1864) الذي تلقى تعاليم الطريقة وأورادها على يدي الشيخ عبد الكريم بن أحمد النقيل الفوتو جالوني **(45)**،وبنشاطه الصوفي عرفت التيجانية انتشارا واسعا وتفرعت عنها زوايا وطرق تابعة لها من أبرزها :

-**الحافظية** : تنسب إلى الشيخ محمد الحافظ العمري المتوفي سنة 1245 هـ/1829م **(46)** في أدرار مطلع القرن التاسع عشر، وكانت بدايتها بمدينة شنقيط ثم ما لبثت أن عمّت مختلف المناطق الصحراوية شاملة منطقة تجكجة قبل أن يصل أهله إلى بلاد الترارزة ،ولم تنته سنة 1245هـ/1829 حتى كان الجزء الأكبر من قبيلة **"اداو علي"** يتبع الطريقة التيجانية،وقامت بدور كبير في تدعيم الأخوة بين القبائل الصحراوية ، والجمع بين الظاهر والباطن مستفيدة من الفيضية وما تعلق بها من إشراقات روحية**(47)**.

-**العمرية :** تنسب إلى الشيخ عمر الفوتي (1795- 1864)**(48)** بحوض السنغال في السودان الغربي ، وترتبط سندا بالشيخ مولود فال تلميذ الشيخ محمد الحافظ والشيخ عبد الكريم الناقل ،تعدد نشاطها فإضافة إلى اهتمامها بالأذكار والأوراد ،قامت بحركة جهادية ضد الممالك الوثنية لنشر الإسلام في ربوعها مابين(1850- 1854)، و قامت بالمرصاد للحملات التبشيرية التي رعاها الإستعمار الفرنسي ، وبعد وفاة الحاج عمر سنة 1865م تراجعت العمرية وانحصرت في تجمعات أسرية في عديد من القرى [49].

-**المريدية** : تنسب الطريقة إلى مؤسسها أحمد حبيب الله بامبا[50] وهو سنغالي من قبيلة الولوف كان في بداية أمره قادريا ثمّ تحول إلى التيجانية بعدما وجد في كنفها تساهلا في قضية حرية البلاد ،وكانت نشأتها سنة 1889 ،فقامت على أساس ديني بمواجهة الرواسب القديمة وتطهير الإسلام من البدع ،وقامت بمواجهة الإستعمار الفرنسي ،وأنشا مؤسسها رباطا كمركز روحي لطريقته يجمع مريديه وأسس مسجد طوبا الذي شرع ببنائه سنة 1924 م، كما عرفت طريقته نشاطا اقتصاديا تمثل في حثّ المريدين على العمل الزراعي تحت شعار:**" من يعمل يأكل"** ،ونتج عن ذلك تطور اقتصادي بالسنغال في إنتاج الفول السوداني **(51)**، وبعد وفاة بامبا سنة 1927 أصبح أتباعه يزورون قبره في مدينة **طوبا (52)** سنويا

---

(43). بنعبد الله، المرجع السابق، ج2، ص 218.

(44). هناك من يُرجع وصول التيجانية الى غرب افريقيا بواسطة الشيخ محمد الحافظ الشنقيطي المتوفي سنة 1830 م ، الذي كان له اتصال مباشر بالشيخ المؤسس ، وقام بنشر الطريقة بين قبائل شنقيط وامتد نفوذها إلى السنغال ، انظر : عبد القادرمحمد سيلا ، المسلمون في السنيغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل ،رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، ط1، قطر ، 1985. ص 136.

(45) . عبد الرزاق ابراهيم، المرجع السابق ،ص55.

(46) محمد الحافظ بن مختار بن حبيب لقي الشيخ التيجاني في عودته من رحلة الحج فتعلم منه وتربى لديه وعاد الى بلاد شنقيط سنة 1220هـ/ 1805 م فنشر الطريقة التيجانية والتي أصبحت تعرف بالحافظية نسبة اليه أنظر : النحوي ، المرجع السابق ، ص 123.

(47) .الظريف ، المرجع السابق ،ص 169.

(48) محمد سيلا ، المرجع السابق ،ص 136.

(49). نعيم قداح ، المرجع السابق ،ص 122.

(50) . عاش أحمد بامبا من 1851 – 1927) ،وكان منخرطا في الطريقة القادرية وتعرض لمضايقات استعمارية ، حيث نفي سنة 1895إلى الغابون ،وفرضت عليه الإقامة الجبرية الى أن وافته المنية سنة 1827 ، عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2010، ص ،ص 243،242، سيلا ، المرجع السابق ،ص 138.

(51) محمد سيلا،المرجع السابق ، ص 139.

،وتنفق خلال الزيارة مبالغ مالية على ضريحه،وحسب الإحصائيات فقد زار الضريح مائة ألف من الأتباع أنفقوا خلالها نحو 30 مليون فرنك خلال سنة 1948 [53].

-**الحموية:** ظهرت هذه الطائفة في **نيورو** بمنطقة حوض السنيغال على يد الشيخ حماه الله التشيتي[54] وارتبط ظهورها بأزمة التيجانية في غرب إفريقيا ،ويرجع الفضل في إيجادها وإحيائها إلى زاوية تلمسان التيجانية ،فقد كلف الشيخ أبو عبد الله سيدي الطاهر مريده الشيخ محمد الأخضر بالتوجه إلى الصحراء ،والبحث عن من يستطيع حمل الأسرار التيجانية ويتولى حمايتها وإعادة أمجادها التاريخية ، فعيّن الشيخ **"حماه الله"** خليفة التيجانية بغرب إفريقيا سنة 1318هـ/ 1900م وأطلعه على حلقاتها وأسرارها ،فقامت هذه الطائفة بإقناع التيجانيين الإثنا عشرية بالإلتزام بقواعد الطريقة فصار أتباعه يعرفون بالإحدى عشرية، واستطاع أن يعطي التيجانية العمرية شكلا صوفيا ناميا،يصل بالإنسان إلى حالات من النشوة الروحية، كما قامت على المقاومة ورفض الوجود الإستعماري حتى وفاة شيخها سنة 1363هـ/ 1943م [55].

3- مظاهر الصلات الروحية بين المنطقتين :

من خلال عرضنا للطريقتين الأكثرانتشارا في إفريقيا الغربية والممثلتان في الطريقة القادرية والتيجانية وتناول خصوصيتهما الصوفية ، فإن مظاهر التواصل قد تتحدد في مايلي :

3-1-السند الصوفي :ترتبط الطريقة الصوفية بسند متصل أوسلسلة روحية تتمثل في تراتب عدد من الشيوخ،حيث تبدأ من الشيخ المرشد إلى شيخه المباشر لتترقى إلى بعض كبار الشيوخ من أمثال الشيخ الجنيد ثم إلى التابعين ،وأهمية السند تكمن في اعتباره من أهم المرجعيات الأساسية في التنظيم الطرقي نتيجة التطور الذي عرفته في الفترات الأخيرة حيث ارتبط بلبس الخرقة ،كما تعززت من خلالها مظاهر الإنتماء والإرتباط بالطريقة .

أ- السند القادري : تتدرج السلسلة القادرية في كثير من الأسانيد حيث تصل إلى الإمام علي(رضي الله عنه) كأعلى سند صوفي ،حيث يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن هناك وثيقة ترجع إلى 1875(1292هـ) تذكر شجرة النسب القادرية وسلسلتها حيث تنتهي إلى الإمام علي وآدم عليه السلام [56].

وتندرج الطريقة ببلاد المغرب في سلسلة صوفية بناءا على رواية أبي مدين شعيب التي ذكرها ابن مريم في كتابه "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " بقوله :"..وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سريّ السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عليه السلام عن رب العالمين" [57] ، كما يذكر السيوطي في كتابه تأييد الحقيقة العلية أن طريق التصوف يتصل بسيد القوم الجنيد عن طريق سري

---

(52) . تقع مدينة طوبى في السنغال ،حيث تبعد بحوالي 150 كلم من داكار ، وتمثل العاصمة الروحية للمريدية ،وتستقبل زهاء المليون نسمة سنويا بمناسبة الاحتفال بليلة 17 صفر ذكرى نفي الشيخ " بامبا الى الغابون ،وتدوم الاحتفالات ثلاثة أيام، وتدور حول المسجد وضريح مؤسس المريدية .الذي تم بناؤه حسب الروايات بدعم من السلطات الاستعمارية : انظر : سيلا ، المرجع السابق ،ص 139، نعيم قداح ، المرجع السابق ،ص 126.

(53) .نفسه ،ص 125 – 126.

(54). مؤسس الطريقة حمى الله بن محمد بن عمر المولود في مدينة نورو عام 1886 والواقعة شمال مالي ، على الحدود الموريتانية ، وتسمى هذه الطريقة الحماوية أو الحمالية - نسبة الى التركيب حمى الله – والأصح ان التسمية الحموية بكسر الحاء ، كما تعرف ايضا بالشريفية من كلمة شريف لان والد حمى الله من شرفاء مدينة تيشيت في موريتانيا .

Paul Marty ،Etude L' islam et Les Trubus du Sudan,Smaithsonian Libraries ,E Leroux, Paris, 1920 ,p113 .

(55) . الظريف ، المرجع السابق ،ص 176.

(56).سعد الله ،المرجع السابق،ص43.

(57) .أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد "ابن مريم" "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،1986 ،ص115

السقطي وسري عن معروف الكرخي ومعروف عن داوود الطائي وداوود لقي التابعين وهكذا كان يذكر إسناد الطريقة [58].

وبناءا على هذا السند فإن السلسلة الصوفية القادرية بالسودان الغربي تجمع بين المغيلي وأبي مدين شعيب وعلي بن أبي طالب كما تقدمها السلسلة الصوفية الكنتية وبعض كتب مناقب التصوف كما يلي : " الشيخ عبد الكريم المغيلي،عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،أبو العباس عبد الرحمان الثعالبي ،محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي ، محمد بن أبي بكر بن مرزوق التجيبي ،أبوحامد الغزالي ،علي بن حرزهم ،أبومدين شعيب ،عبد السلام بن مشيش ،محي الدين بن عربي الحاتمي ، صفاء الدين السّهروردي علي بن هيتا ،عبد القادر الجيلي ،أبو الوفا،أبو أحمد الشنبكي ،الشلبي ، الجنيد ،أبو الحسن سري السّقطي ،معروف الكرخي ،الحسن البصري ،علي بن أبي طالب .[59]

ويمثل السند المذكور نموذجا من التواصل القادري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء من خلال الشيخ أبومدين شعيب، والشيخ المغيلي، متصلا بأحمد البكاي وابنه الشيخ اعمر الذي وصفه بول مارتي بالرئيس الأعلى للقادرية ، وأطلق اسم أبيه على الطريقة الفرعية المسماة بالبكائية التي نشأت في زاويتهم بتوات في نهاية القرن الخامس عشر [60].

وشكّل اتصال الشيخ اعمر بن أحمد البكاي بالشيخ عبد الكريم المغيلي وأخذه الورد القادري عنه مساهمة كبيرة في نشر الطريقة القادرية وترسيخ مبادئها وتدعيم مسار الحركة الإسلامية الصوفية ببلاد السودان الغربي ،ووضع الأسس والدّعائم للقادرية التي أصبحت مرجعيتها مغاربية في الشيخ عبد الكريم المغيلي والذي اعتبره بول مارتي الرئيس الأعلى للطريقة القادرية [61].

ب- السند التيجاني : يعتبر التيجانيون أن الشيخ أحمد التيجاني خاتم الشيوخ والأولياء، والتيجانية خاتمة الطرق الصوفية في بلاد الله ،وللطريقة التيجانية سلسلة واحدة ترجع إلى المؤسس،ولذا ليس من حق الأتباع إعطاء العهد لأيّ واحد بعد ذلك [62]، وتشير المصادر التيجانية إلى عدم وجود سند في الذكر التيجاني، وإنما أخذ الشيخ أحمد التيجاني الورد المحمدي مباشرة من سيد الوجود عليه الصلاة والسلام يقظة ومشافهة ليس فيه سند غير هذا السند [63].

ولعل من خصوصية الإرتباط الروحي بين التيجانية وفروعها في السودان الغربي والجزائر ما يؤكد على التواصل الروحي هو رجوع السلاسل الصوفية إلى مؤسس الطريقة أحمد التيجاني ،إضافة إلى الدورالذي قام به شيخ زاوية تلمسان أبو عبد الله محمد سيدي الطاهر في الحفاظ على امتداد التيجانية في غرب إفريقيا ،حيث قام بتعيين مريده الشيخ محمد الأخضر وأمره بالتوجه إلى الصحراء للبحث عمن يستطيع حمل الأسرار التيجانية بها فقام أثناء زيارته بتعيين بعض المقدمين من "قايدي" و :" ولاتة " و "غرغل " ، مثل " فودي أبوبكر "و " فودي عبد الله " و " فودي شيخو " و " فودي محمد يوسف " " ومحمد عبد الرحمان " و " مامادي ولد بوبوي " و "عبد الله ولد لمين " ، ونجحت مهمة مبعوث زاوية

---

(58) .أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية ،تصحيح عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني ،المطبعة الإسلامية ،عبد المعطي أحمد الحسني ،1934،ص12.

(59) . الضريف ، المرجع السابق ، ص86.

(60) . بول مارتي،المرجع السابق ،ص34

(61) . المرجع نفسه، ص 34

(62) . عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ،ص 55.

(63) .محمد العربي بن محمد السائحي الشرقي العمري ، بغية المستفيد لشرح منية المريد ، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي ، منشورات محمد بيضون دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط2، 2003،ص 258.

تلمسان في الحفاظ على امتداد السند الصوفي والإرتباط الروحي التيجاني بين السودان الغربي والجزائر بتعيين حما الله شيخا للزاوية الحموية التيجانية [64].

2-3 الزوايا الصوفية : شكلت الزوايا الصوفية مراكز روحية تجمع المريدين بشيوخ الطريقة سواء القادرية منها او التيجانية .

أ- الزوايا القادرية : قامت الطريقة القادرية بدور كبير في نشر الوعي الديني بغرب إفريقيا منذ القرن السادس عشر بإنشاء مراكز وزوايا لنشر تعاليم الإسلام ومبادئ الطريق الصوفي والدعوة إلى تعلم العلوم الشرعية[65].

ومن أهم الزوايا التي شكلت محورا للتواصل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء زاوية الهاشمي بن أحمد الشريف بعميش بوادي سوف والتي قام شيخها بنشاط كبير في تجنيد الأتباع ونشر الطريقة إلى أقصى الجنوب وربط علاقات مع السودان وغات ،وتجنيد العديد من سكان سوف الذين يمارسون التجارة بالصحراء [66].

كما كان للزوايا بالجنوب الغربي وخاصة الزوايا التواتية دور كبير في تدعيم التواصل الروحي ،ومن أهمها زاوية كنتة القادرية التي يعتبر الشيخ مختار الكنتي أبرز شيوخها ،حيث اهتمت بمختلف العلوم الدينية بما فيها التصوف ،وزاوية الشيخ ابن عبد الكريم التي بناها الشيخ عبد الكريم أحد أجدادهم وقد عمّرت بهم زاوية قبيلة كنتة [67]،ونجحت في بلوغ هدفها الذي اتبعته داخل منطقة توات، فقد كان طموحها أن تنقل عطاءها وإشعاعها الروحي خارج المنطقة وتساهم في نشر الإسلام بالقارة الإفريقية والتمكين لمبادئ الدين الإسلامي ومعالمه الحضارية السامية، فوصلت بذلك إلى مناطق عديدة كالهوسا وتمبكتو، وشنقيط [68].

كما ساهمت في العلاقات التي بينها وبين هذه البلدان من خلال مخازنها واحتضانها للتعامل التجاري ،وإشرافها على الطرق المؤدية إليها ،وهذا ما جعل من المبادلات التجارية عاملا أساسيا في ازدهار العلاقة بين الزوايا التواتية وزوايا البلدان الأخرى من شنقيط والساقية الحمراء وولاتة وغيرها من مدن السودان الغربي .

ومن أهم الزوايا التي اضطلعت بهذا الدور زاويةالشيخ مولاي سليمان بن علي الإدريسي[69] ،وزاوية الشيخ المغيلي ،وزاوية المختار بن الأعمش الجاكاني السوساني التي كانت قبلة لطلاب العلم من مناطق شنقيط وإقليم الأزواد [70]، كما قام علماء **"كنتة"** بجهود كبيرة في نشر الطريقة البكّائية القادرية بشكل واسع بإقليم الأزواد وحوض نهر النيجر، وقد كان تأليف الشيخ المختار الكبير **"رسائله عن الإسلام والمسلمين"** علامة بارزة على انتشار الإسلام بين الشعوب الزنجية في حوض نهر النيجر وغرب إفريقيا [71].

ورغم الإختلاف الموجود بين الزوايا التعليمية والزوايا الأضرحة التي كان لها دور كبير في التقاء العلماء وتواصلهم الصوفي،فإن المزارات شكلت مقصدا للعديد من الوافدين من مشارق الأرض

---

(64) . الظريف ، المرجع السابق،ص 174.

(65). هلال، المرجع السابق، ص ص 112، 113.

(66).سعد الله ،المرجع السابق ،ص48.

(67) .نفسه ، ص278.

(68).النحوي ،المرجع السابق ، ص241

(69) .قداح ،المرجع السابق ،ص90.

(70) .صلاح مؤيد العقبي ،"الطرق الصوفية والزواياالجزائر، تاريخها ونشاطها "، د ا ر البراق ،بيروت ،لبنان ،2002، ص ص532-536

(71).محمد حوتية، الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب إفريقيا خلال القرنين 18-19، الملتقى الدولي الحادي عشر" التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة"، ج2،جامعة العقيد أحمد دراية ،أدرار، 2009/2008 ،ص ص 229، 230.

ومغاربها،وشملت شيوخ الصوفية والمرابطين للتبرك فنجد أنّ ضريح أبي مدين شعيب بالعباد بتلمسان شكل مركزا للتدريب الصوفي خلال حياة الشيخ وبعدها ،وكان الناس يلتقون فيه للعلم ،و يعيشون العزلة كما زودها بمنشآت دينية أقامها سلاطين بني مرين وخاصة السلطان أبو الحسن المريني عند استيلائه على تلمسان في (738هـ/1337م) حيث أقام بجانب الضريح مسجد كبير ومدرسة وحمامات [72]،وزاوية الثعالبي بمدينة الجزائر،التي تعتبر مركزا للإلتقاء بين مشايخ التصوف وبخاصة مشايخ القادرية ،وحرصهم على الأخذ من بعضهم البعض مبادئ التصوف ،وأسرارالطريق [73].

ومع أننا لا نملك قائمة بأسماء شخصيات من السودان الغربي قدمت إلى المنطقة للزيارة ،فإن هذا لا ينفي استقطاب المنطقة لأتباع القادرية نظرا للمرجعية الصوفية القادرية والتي يشكل الشيخ أبومدين شعيب ،والشيخ عبد الرحمان الثعالبي أحد ركائزها ومرجعياتها في بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي من خلال السند الصوفي .

ب- **الزوايا التيجانية:** شكلت الزوايا التيجانية مركزا صوفيا لاستقطاب الأتباع من مختلف المناطق، ونخص بالذكر السودان الغربي ،فقد شكلت الزاوية التيجانية بعين ماضي بمكانتها التأسيسية مركزا روحيا لأتباع الطريقة ، ومزارا تستقطب منه العديد من سالكي الطريق ،وحافظت على مكانتها منذ انطلاقتها وتوالى على قيادتها أبناء الشيخ أحمد التيجاني وأحفاده [74].

والأمر كذلك بالنسبة لزاوية **تماسين** التي استطاعت أن تفرض نفوذها رغم الإضطربات التي مرّت بها ، ففي فترة الشيخ أحمد العروسي بن محمد الصغير استطاعت الزاوية أن تتغلب على الخلافات وتفرض سلطتها الروحية على أتباع التيجانية في مختلف الأقطار الإسلامية ،وامتد تأثيرها إلى الصحراء وبلدان افريقيا [75].

أما زاوية تلمسان فقد كانت صلاتها الروحية بالسودان الغربي متينة ، وتمثل دعمها للتيجانية بما ساهمت به من دور فعال في استرجاع مكانتها بالمنطقة بعد وفاة الشيخ محمد الحافظ والحاج عمر ، فكلفت أحد مريدها للقيام بمهمة البحث عن خليفة وزعيم روحي للطريقة فنجحت في هذه المهمة بعد تعيينها لزعيم لطريقة الحموية "حما الله| وإشرافه على الزواية [76]،

جـ -الأذكار والأوراد: تمثل الأوراد والأذكار أساسا من مكونات الطريقة وركنا من أركانها ، حيث يعتبر خاصيّة تمير طريقة عن أخرى ، وتسعى هذه الأوارد في مجموعها إلى تعميق الوعي الديني عند المريدين في تحصينهم من الأخطار التي تواجههم ،وتساهم في شحذ هممهم وتقوية عزائمهم ، كما تمثل نقطة تواصل بين أتباع الطريقة .

جـ -1 -الأوراد القادرية : ترتكز الطريقة القادرية في نظامها على تربية المريدين وتطهير نفوسهم بالأذكار والأوراد وأنواع الرياضة الروحية،وتهذيب النفوس، وتنظيم العلاقة بين الشيخ والمريد،وتتضمن أذكارها ما تدارسوه من شيوخهم بسند متصل.

وقد أكد الشيخ عبد القادر الجيلاني في تصنيفاته على أهمية الأذكار وقام بتقسيمها على أساس:ذكر باللسان وذكر بالنفس وذكر بالقلب ،وذكر بالروح ،وذكر بالسّر ،والذكر الخفي والذكر أخفى الخفي

---

(72) .جورج مارسي ،بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصورالوسطى،ترجمة محمد مصطفى هيكل،مراجعة مصطفى أبوضيف محمد،مطبعة الانتصار،منشأت الاسكندرية ،1991،ص334،333.

(73).عماربن خروف ،العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين الجزائروالمغرب في القرن (10هـ/16م)،دار الأمل للنشر والتوزيع ،2008، ص163.

(74). توالى على مشيخة الزاوية الشيخ محمد الكبير التيجاني (ت 1242هـ/1826م) ،وسيدي محمد الصغير (ت 1260 هـ/1844م) ،ومحمد بن محمد الصغير التيجاني (1292هـ/1876م ، والشيخ البشير بن محمد الصغير (1315هـ/1897م) ،انظر : .Hamaoulah ,op cit , p422 ,

(75) .Ibid ,p 426

(76). الظريف ، المرجع السابق ،ص 162.

،وبيان خاصية كل ذكر ،كما وضع شروطا للذكر منها :-أن يكون الذاكر على وضوء تام ،وأن يذكر بصوت قويّ حتى تحصل أنوار الذكر في بواطن الذاكرين ،وتصير قلوبهم أحياء بهذه الأنوار حياة أبدية أخروية [77].

وصنّف خلفاء القادرية من شيوخ ومقدمين مؤلفات عديدة في فضل الأذكار وأهميتها في الدنيا والآخرة ،فقد ترك الكنتيون رسائل وقصائد، منها قصيدة للشيخ المختار الكبير في السلسلة القادرية ونازلة في التصوف وإجازة في الأوراد والأحزاب ، ومثله الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكبير الذي ترك إجازة في الأوراد والأحزاب القادرية ومخطوطا في الأدعية [78].

واهتمت الطريقة القادرية بتهذيب النفوس وتنظيم العلاقة بين المريدين والشيوخ المربين ،مرتكزة في ذلك على مبادئ ومأثورات كآثار الطوسي،والرسالة القشيرية للقشيري ، وغيرها من كتب التصوف ، ولا تختلف الأوراد والأذكار التي اعتمدها شيوخ القادرية بالسودان الغربي في صيغتها وعددها عن أوراد الزوايا القادرية بالمغرب الأوسط أو الزاوية الأم ببغداد اختلافا كثيرا رغم ما طرأ عليها من اجتهادات،حيث تضمنت مايلي :

- (التسبيح مئة مرة)-(الحمد لله مئة مرة)-(الله أكبر مئة مرة)-(الحمد لله سيد الكون مئة مرة)[79] وتنطلق هذه الأذكار من سند صوفي،مما جعلها تشكل رمزية دينية تتقاطع من خلالها الطريقة القادرية بين المنطقتين وتحافظ على استمراريتها من خلال الإقبال عليها من الخاصة والعامة ، فحققت انتشارا واسعا لم يقتصر على السودان الغربي فقط بل تجاوزه إلى مختلف الأصقاع الإفريقية.

وبالإضافة إلى الأوراد التي تعتبر إلزامية والمعروفة **بالوظيفة** فهناك عدد من الأدعية الإختيارية التي تتلى في جلسات معينة وتوسلات وابتهالات تقرأ جماعيا عقب صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر،وتساهم الأوراد والأذكار في تزكية النفوس وتطهيرها ،ويبدوا الأثر الكبير للأذكار والأوراد في جذب الإفريقي بشدّة للطرق الصوفية وخاصة القادرية ، فالإلتفات حول الشيخ والإشتراك في حلقات الذكر أو مايسمى **بالحضرة** يملأ الفراغ الروحي عند الإفريقي،ويحتل جزءا من وقت فراغهم ،وخصوصا في المساء حيث الإنشاد الديني والحركات الإيقاعية في الذكر والتي تستهوي الإفريقيين الذين تعودوا على التعبير بالرقص في أوجه حياتهم كافة وخاصة الدينية منها[80]، وهذا شكل رمزية في الإقبال على الأذكار والحضرة التي ساهمت في تدعيم التواصل الروحي .

جـ - 2 -الأوراد التيجانية :

أكدّت الطريقة التيجانية عن طريق مؤسسها أحمد التيجاني على ضرورة الإلتزام بأداء الأوراد في أوقاتها المحددة ،والتي صُنّفت حولها العديد من الأعمال والتي ذكرنا صيغها وأنواعها والعدد المخصص لقراءتها ،وكان مريدوا الطريقة في مختلف المناطق ينهضون بهذه الأذكار ويلتزمون بها عن طريق إشراف مقدمي الطريقة وشيوخها مما يبرز الصلة الروحية التي تؤكد دور الذكر في هذه العلاقة .

ومن الأوراد التي وردت في أصول التيجانية وكان يقوم بتلاوتها الأتباع صلاة **"جوهرة الكمال"** التي كانت زاوية تلمسان تؤكد على ضرورة قراءتها إحدى عشر مرة مستندين في ذلك إلى كتاب " **جوهر المعاني"** لعلي حرازم والذي يعتبر المنطلق الأساسي للتيجانية ،واستطاع الشيخ الأخضر أحد

---

(77).عبد القادر الجيلاني ،المصدر السابق ،ص83،82.

(78) حوتية ، المرجع السابق ،ص 216.

(79.) ضريف،المرجع السابق ،ص224.

(80).حورية توفيق مجاهد ،تاريخ انتشارالإسلام في إفريقيا،الأبعاد والوسائل،مجلةقراءات إفريقية،العدد السادس ،سبتمبر 2010،المنتدى الاسلامي ،لندن. ص23.

مقدمي الزواية أثناء رحلته إلى السودان الغربي إقناع أتباع التيجانية بتصحيح بعض صيّغ الذكر والخاصة بجوهرة الكمال فقد وجدهم يذكرونها اثني عشر مرة بدلا من إحدى عشر مرة[81] ،وحافظت الحموية على هذا النهج في الذكر مرتبطة بذلك بشيوخ زاوية تلمسان مما جعل الصلة القائمة على أساس الإرتباط الروحي مساهمة في التدعيم الصوفي والتواصل بين الزاويتين .

ولعل سرّ انتشار التيجانية في المنطقة يرجع إلى طبيعة أذكارها خاصة ، وخلوها من التعقيدات خاصة وأنّ العديد من العلماء والزعماء قام باعتناقها والدخول في سلكها ، واستطاع شيوخها وخلفاؤها القيام بمهمة الإرشاد والتعليم بإعطاء العهود والأذكار فأدخلوا معظم سكان السودان الغربي في سلك التصوف بطريقة التيجانية وصار تأثيرهم كبيرا في قلوب الناس .

الخاتمة:

نستنتج مما سبق ذكره الأثر الكبير الذي تركه التصوف بمفهومة التنظيمي ، ومساهمة الطرق الصوفية كعامل أساسي في رسم مظاهر العلاقات الإفريقية وخاصة بين الجزائر والسودان الغربي ، وازدهار الصلات الروحية بعدما اكتسبت التجربة الصوفية ببلاد المغرب أهميتها وخصوصيتها المتميزة التي ساهمت في انتشار القادرية والتيجانية كنموذج من الطرق الصوفية الأكثر انتشارا وتأثيرا بالمنطقة وتواصلها بمناطق عديدة وبخاصة بلاد السودان الغربي،وتوظيفها للعامل الديني من خلال القيام بمد قنوات الحوار والتواصل الصوفي وصيانة نسيج العلاقات الحضارية بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء بداية من القرن الخامس عشر وتوسعها اكثر في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، إذ وجد هذا الأسلوب الديني قبولا من طرف الأفارقة، وساعد على تغلغل طقوس الزوايا المغاربية وتعاليمها الصوفية في الجزء الجنوبي والغربي لإفريقيا بشكل خاص ، مما جعلها تلعب دورا تاريخيا في مواجهة التحديات وتقوم بدور كبير تزعمه شيوخها ومرابطوها عن طريق تعليم الطلبة مبادئ الدين من قرءان وأحاديث وأذكار وأوراد تتلى جماعة، إضافة إلى التأطير والتنظيم المحكم الذي جعل الطرقية تعرف ازدهارا كبيرا في إفريقيا الغربية وتساهم في مواجهة المحتل كما هو حال العمرية والمريدية ،وتساهم بشكل أساسي في ارتباط الأفراد بالإنتساب إلى إحدى الطرق الصوفية.

قائمة المصادر والمراجع :

أ)المصادر:

- القرءان الكريم (سورة البقرة،الآية152،سورة الأحزاب،الآية41).

- (ابن مريم)أبي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان "،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986.

- (السيوطي)أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية ،تصحيح عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني ،المطبعة الإسلامية ،عبد المعطي أحمد الحسني ،1934.

_(الصومعي)أحمد التادلي ،كتاب المعزى في مناقب أبي يعزى ،تحقيق علي الجاوي ،مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط ،1996.

(81) . الظريف ، المرجع السابق ،ص 174.

-(العمري)، محمد العربي بن محمد السائحي الشرقي ، بغية المستفيد لشرح منية المريد ، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي ،منشورات محمد بيضون دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط2، 2003.
- (القشيري)أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان ،الرسالة القشيرية،تحقيق خليل منصور،دار الكتب العلمية ،الطبعة الثالثة، 2005.
- (اليعقوبي) أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح "البلـــــــدان "،تحقيق محمد أمين الضناوي ،دار الكتب العلمية،ط1،المجلدالأول 2002،.

ب)المراجع

-(التل) عمر سليم ،متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ،دراسة تاريخية ،دار المأمون للنشر ،عمان الأردن ط1، 2009 .
- (الدباغ) محمد ،دراسات في التراث ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران.2007 .
-(الفيتوري)عطية مخزوم ،دراسات في تاريخ إفريقيا وجنوب الصحراء(مرحلةانتشارالإسلام) ،منشورات جامعة قاز يونس ،بنغازي ،ط1998،1
- (القادري) إسماعيل بن السيد محمد القادري ،الفيوضات الربانية في المآثر والأورادالقادرية ،تهذيب ومراجعة عبد الهادي قطش،دارالهدى ،عينمليلة ،الجزائر ،2004
- (القادري)،عبد الحي ،الزاوية القادرية عبر التاريخ العصور .الطبعة الأولى ،تطوان 1968 .
- (العقبي) صلاح مؤيد ،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر،تاريخها ونشاطها،دار البراق بيروت ،لبنان،2002 .
- (النحوي) الخليل ،بلاد شنقيط المنارة والرباط ،عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني ،من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)،مكتبة المنتدى الإسلامي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،تونس ،1987 .
- (بن خروف)عمار،العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن (10هـ،16م)،دار الأمل للنشروالتوزيع ،الجزائر،2008.
- (بن شهرة) المهدي، الطرق الصوفية في الجزائر السنية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2004،
-(ترمنجهام)،سبنسر،الفرق الصوفية في الإسلام ،ترجمة ودراسةوتعليق:عبدالقادر البحرواي،دارالنهظة العربيةللطباعة والنشر،بيروت،ط1، 1997.
- (حوتية) محمد، الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب إفريقيا خلال القرنين 18-19، الملتقى الدولي الحادي عشر" التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة"، ج2،جامعة العقيد أحمد درارية ، أدرار ، 2008/ 2009.
_(دندش)عصمت عبد اللطيف ،دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/1038-1121م) مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن عربي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، ط1 ،1988.
_ (ذهني) إلهام محمد علي ،جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقية ضد الإستعمار الفرنسي ،(1850،1914)،دار المريخ للنشر ،الرياض ،1988.
- عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2010.
-(زيزاح) سعيدة،ظاهرة الطرق الصوفية بالجزائر " الطريقة التيجانية نموذجا"، الملتقى الدولي الحادي عشر التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، ج2، جامعة العقيد أحمد درارية ، أدرار ، 2009/2008.
_(سعد الله) أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4،(1954/1830)،طبعة خاصة ،دار البصائر للنشروالتوزيع،الجزائر،2007.
- سيلا عبد القادرمحمد ، المسلمون في السنيغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل ،رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، ط1، قطر ، 1985.

-(الظريف) محمد،الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية ،(1800،1956)،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالمحمدية ،الدار البيضاء ، المغرب،2002.
- (عبد الرزاق) إبراهيم، عبد الله ، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى القاهرة، 2004 .
- (عيسى)عبد القادر ،حقائق عن التصوف،دار المقطم للنشر والتوزيع ،القاهرة،2005.
_ (قداح) نعيم ،حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1975 .
- (مارتي) بول،كنتة الشرقيون ،تعريب وتعليق محمد محمود ولد وادي ،مطبعة زيد بن ثابت ،دمشق ،دون سنة طبع .
- (مارسي) جورج ،بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى،ترجمة محمد مصطفى هيكل،مراجعة مصطفى أبوضيف محمد،مطبعة الانتصار،منشأت الإسكندرية ،1991.
- مجاهد حورية توفيق ،تاريخ انتشارالإسلام في إفريقيا،الأبعاد والوسائل،مجلة قراءات إفريقية،العدد السادس ،سبتمبر 2010،المنتدى الاسلامي ،لندن.
-(يحيى) ،جلال ،تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،المكتب الجامعي الحديث ،الأزاريطة الإسكندرية ،1999.

-E, Paul Martytude L’ islam
et Les Trubus du Sudan,Smaithsonian Libraries ,E Leroux, Paris,1920.
-cheikh hamahoullah, Les confreriers religieuses musulmanes,Alioune Traoré, paris ; 1983.
- Deppont et Xavier coppolani.Les confreries religieuses musulmanes .Alger.1897